

العنوان:	التقويم الزراعي في الغرب الإسلامي
المصدر:	أعمال الندوة الوطنية : الفلاحة في تاريخ المغرب
الناشر:	كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرارز والجمعية المغربية للبحث التاريخي
المؤلف الرئيسي:	الفاطحي، حميد
التاريخ الميلادي:	2015
مكان انعقاد المؤتمر:	فاس
الهيئة المسؤولة:	كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرارز - مختبر البيبليوغرافيا التحليلية والتوثيق للتراث المغاربي - شعبة التاريخ والجمعية المغربية للبحث التاريخي
الشهر:	ديسمبر
الصفحات:	39 - 56
رقم MD:	1039661
نوع المحتوى:	بحوث المؤتمرات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الزراعة، التقويم الزراعي، الغرب الإسلامي
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/1039661

التقويم الزراعي في الغرب الإسلامي

حميد الفاتحي *

تهدف هذه المساهمة البحث في إمكانية إعداد رزنامة زراعية تشمل مختلف الوحدات الجغرافية المكونة للغرب الإسلامي بناء على تقويم سنوي يمتد من فاتح يناير إلى نهاية دجنبر، وفق دورة أثبتتها كتب الجغرافيا والفلاحة والتوقيت والأنواء¹، في ارتباط بالتقويمين اليولياني والسرياني خصوصا. وأهم ما تشترك فيه هذه المصادر رغم الفوارق الزمنية والمكانية بين مؤلفيها هو الاهتمام بـ "المجال المتوسطي" بقسماته المشتركة.

لقد حقق مزارعو الغرب الإسلامي تراكما معرفيا بالاستفادة من تجارب الأمم، وعن طريق الخبرات الميدانية التي تجاري منحنيات تطور النبات وفق أبراج الشمس ومنازل القمر، وهو ما جعل الفلاحة تسير وفق مقاييس محددة في خدمة الأرض وتدبير التعاقدات بين الملاك والأجراء. لكن ذلك لا يمكنه إخفاء خضوع الفلاح لتقلبات التساقطات المطرية ومياه السقي من جهة، ولطبيعة الأرض ونوعية التربة من جهة أخرى.

وما ينبغي الإشارة إليه، أن التقويمات المعتمدة لا تنحصر فقط في تتبع الإنتاج الزراعي، وإنما نجد فيها مادة تتعلق بالإنتاج الفلاحي عموما مع وجود إشارات اقتصادية واجتماعية ورصد للظواهر الفلكية بالشرق والمغرب. وعلى هذا الأساس، قد تتوسع الدراسة خارج الميدان الزراعي، بذكر أوقات الغرسة وقطف الثمار على سبيل المقارنة.

* أستاذ باحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة.

¹ - يجسد علم الأنواء أحد العلوم المرتبطة بالأرصاد الجوية وما يتعلق بها من تأثير على المجال الزراعي عن طريق الاستدلال بالنجوم على نزول المطر وغيره من الظواهر الجغرافية والفلكية. انظر: إبراهيم القادري بوتشيش وسعيد بنحمادة، أرضية تمهيدية لتحقيق رسالتين في الأنواء لعريب بن سعد القرطبي وابن البنا المراكشي، المجموعة المغاربية للدراسات التاريخية والحضارات المقارنة، سلسلة أبحاث ودراسات 35، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 2015، ص. 10.

أولاً: محددات التقويم الزراعي

إذا كان المسلمون قد اتفقوا على التأريخ بالسنة القمرية، فإن العمل الفلاحي نأى بنفسه واعتمد التقويم الشمسي²، وفي هذا المعنى يذكر التاجوري في مخطوطه عن "الفصول الأربعة": «قال القاضي أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن، المسألة الرابعة. قال ابن وهب عن مالك (...) الليل قبل النهار وهو حساب القمر الذي رتب الله عليه العبادات كما رتب حساب الشمس على الذي يتقدم فيه النهار على الليل للعبادات في المعاش والأقوات»³.

وفي السياق ذاته، ارتبطت تسمية السنة بالمعتقد الديني كما هو الحال عند المسيحيين والمسلمين (ميلاد المسيح أو هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم)، لكن تحديد بداياتها خضع لما تمليه الظروف الطبيعية، حسبما يشير إلى ذلك المسعودي في "التنبية والإشراف": «وقد تنازع من تقدم وتأخر من حكماء الأمم وفلاسفتهم في المبتدئ به من فصول السنة ومداخلها وأوائلها ومُدَدَهَا، فمنهم من اختار تقديم الفصل الربيعي وصيرهُ أول السنة لأنه الوقت الذي يبتدئ فيه النهار بالزيادة وأنه مع ذلك رطب والرطوبة وَلِيَّةٌ بأن تكون ابتداء الأشياء الكائنة. ومنهم من اختار

² - انظر في هذا الصدد ابن الأجدابي الذي أشار إلى اعتماد المسلمين على التقويم الشمسي في المشرق والمغرب، مع وجود فوارق في تسمية الشهور واعتماد مطالع مختلفة للسنة الميلادية، ويشرح ذلك على النحو التالي: «وسنة الشمس هذه منقسمة أرباعاً. فالربيع الأول منها يسمى الربيع، والربيع الثاني منها يسمى الصيف، والربيع الثالث منها يسمى الخريف، والربيع الرابع يسمى الشتاء. واعلم أن الروم والسريانيين والقبط بنوا حساب أزمتهم على مسير الشمس... إلا أنهم لم يجعلوا ابتداء سنتهم موافقاً لابتداء الشمس بل افتتح كل فريق منهم السنة في وقت من سنة الشمس غير موافق لأولها؛ فكان افتتاح السريانيين سنتهم في الربيع الثالث من سنة الشمس، وهو فصل الخريف، والشمس حينئذ بمرج الميزان [كانون الأول / أكتوبر]. وكانت الروم في أول أمرها موافقة لهم على ذلك، ثم افتتحت الروم السنة بعد ذلك في الربيع الآخر من سنة الشمس، وهو فصل الشتاء، والشمس حينئذ بمرج الجدي. وافتتحت القبط سنتها في الربيع الثاني من سنة الشمس، وهو فصل الصيف والشمس حينئذ بمرج السنبلة. وإما خصصنا هؤلاء بالذكر، دون غيرهم من العجم، لأن حسابهم هو المحفوظ في بلاد المسلمين، والمستعمل فيها. وأشهر ذلك وأغلبه على استعمال الناس حساب الروم والسريانيين (...) وإذا وقع لنا ذكر السنة العجمية فمرادنا بذلك سنة الروم والسريانيين وشهورهم. وهم متفقون في حسابهم، ليس بينهم اختلاف، إلا في أسماء الشهور. فإن السريانيين يسمونها بلغتهم، والروم يسمونها بلغتهم. وهي مستعملة في بلاد المسلمين بكتلتا اللغتين. فأهل الشام والجزيرة يستعملونها بلغة السريانيين، وأهل الأندلس وصقلية وإفريقية وما اتصل بها يستعملونها بلغة الروم». راجع: أبو إسحاق إبراهيم ابن الأجدابي [تحوالي 650هـ]، كتاب الأزمنة والأنواء، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ص. 52-54.

³ - أبو زيد عبد الرحمن التاجوري، رسالة في الفصول الأربعة والجهات الأربع وجهة القبلة الشرعية، مخطوط الجامع الأزهر، رقم، 307093، مصر، و. 4.

الانقلاب الصيفي لأنه الوقت الذي فيه كمال طول النهار (...) ومنهم من اختار تقديم الاعتدال الخريفي لأن جميع الثمار تستكمل والبذور فيه تبذر (...)، ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الشتوي لأن النهار فيه يبتدئ باسترداد ما نقص منه والازدياد في طوله»⁴.

وتنبهت المصادر إلى معرفة الفصول بناء على الموقع الجغرافي، وقسمت ذلك إلى مذهبين:

- مذهب الزّراع: في الأقطار الباردة كبلاد الشام والروم والعجم؛ بحيث تعتبر فصل الربيع من دخول آذار/مارس، وفصل الصيف من دخول حزيران/يونيو، والخريف من دخول أيلول/سبتمبر، والشتاء من دخول كانون الأول/ديسمبر⁵.

- مذهب الفلكيين: أول الربيع عندهم إذا دخلت الشمس برج الحمل، وذلك يوم اثني عشر من آذار، وأول الصيف إذا دخلت برج السرطان، وأول الخريف إذا دخلت الشمس برج الميزان، وأول الشتاء إذا دخلت برج الجدي⁶.

وقد عد العرب أول أزمنة السنة شهر الربيع، ومنهم من قسم السنة إلى شطرين متباينين؛ فميزوا بين الشتاء والصيف، وبدأوا بالشتاء لأنه دُكّر، وتُنوّا بالصيف لأنه أُثْنِي. وإِذَا جُعِلَ الشّتاءُ ذَكَرًا لما فيه من الأمطار التي بها يَخْرُجُ النبات وتحمل الأشجار قبل أن تُلْدَ في الصيف⁷.

وبناء على ما تقدم، لا غرابة في أن نجد اعتماد أهل المغرب تجارب الأمم السابقة في هذا الباب، وهو ما سجله مارمول حول فصول السنة وبداياتها في بلاد المغرب حيث لاحظ أنه بالرغم من أن: «هؤلاء القوم أميون (...) لا يحسنون القراءة ولا الكتابة،

⁴ - أبو الحسن علي المسعودي، التنبيه والإشراف، تصحيح ومراجعة عبد الله إسماعيل الصادق، مكتبة الشرق الإسلامية، مصر، 1357هـ / 1938م، ص. 15.

⁵ - التاجوري، الفصول الأربعة، و. 9.

⁶ - نفسه، الورقة نفسها.

⁷ - ابن الأجدابي، الأزمنة والأنواء، ص. 95.

لكنهم يُدْلَوْنَ مبررات كافية في شأن الحرث بواسطة قواعد الفلك»⁸. ولعل هذا الحكم الذي أصدره مارمول توقف عند اعتماد المغاربة في تقويمهم الزراعي على كتاب "كنز الفلاحة"، قال إنه ترجم في عهد المنصور الموحيدي عن اللاتينية، وذلك انسجاماً مع حملاته الفكرية وعدائه بين للمسلمين، ولم يكلف نفسه عناء البحث في تراثهم الفلاحي والفلكي، وفي ما أنجزته غيرهم من الأمم التي تداولت هذا العلم. وخلص مارمول إلى أن المغاربة يعتمدون على شهور السنة الاثني عشر الشمسية بأسمائها اللاتينية فيما يخص الحرث، لكنهم يتبعون الشهور القمرية «في أعيادهم وصيامهم»⁹.

ويتدرج التقويم الزراعي في الغرب الإسلامي من رصد أوائل السنة الفلاحية وفصولها إلى أبراج الشمس ومنازل القمر التي انتظم عليها العمل في البوادي، بحيث تعارف المزارعون عليها، وأنتجت الذاكرة الجماعية ترسانة من الأمثال التي تشير إلى الخصائص المناخية والأنشطة الممكنة في كل منزلة، ومن ذلك مثلاً: «لي بغى قمح العولة يحرثه في الشولة». وهذا ما يفسر- في أحد جوانبه اهتمام العلماء بالتنجيم، وإدراجه ضمن المواد المدرسة في المؤسسات العلمية، ووجود فقهاء وأئمة في المساجد بالبوادي والقرى على دراية بهذا العلم¹⁰. فالسنة الشمسية تتكون من أربعة فصول واثنى عشر برجاً وثمانية وعشرين منزلة، وكل فصل به ثلاثة بروج وسبعة منازل كما هو مبين في الجدول أسفله¹¹:

⁸ - مارمو كاريخال، إفريقيا، الجزء الأول، ترجمة محمد حجي، محمد زنيير، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مكتبة المعارف، الرباط، 1404هـ / 1984م، ص. 31.

⁹ - نفسه، الصفحة نفسها.

¹⁰ - بخصوص إقبال المغاربة على علم التنجيم، انظر مثلاً الجهود التي قام بها أهل سوس نظاماً وشرحاً لإقضاء هذا العلم على أوسع نطاق. محمد بن سعيد المرغيتي، الممتع في شرح المقتنع، تصحيح عبد الرحمن المنذر، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1434هـ/2013م، ص. 5-8.

¹¹ - نفسه، ص. 30.

جدول رقم 1: توزيع منازل وأبراج السنة الشمسية حسب الفصول		
الفصل	البرج	المنزلة
الربيع	الحمل - الثور - الجوزاء	فرع المقدم - فرع المؤخر - بطن الحوت - النطح - البطين - الثريا - الدبران
الصيف	السرطان - الأسد - السنبلة	الهقعة - الهنعة - الذراع - النثرة - الطرفة - الجبهة - الخرثان
الخريف	الميزان - العقرب - القوس	الصرفة - العواء - السماك - الغفار - الزبنان - الإكليل - القلب
الشتاء	الجدي - الدلو - الحوت	الشولة - النعائم - البلدة - سعد الذابح - سعد بلع - سعد السعود - سعد الأخبية

وهناك ثلاث محطات في السنة ليست لها علاقة بالأبراج الشمسية ولا بمنازل القمر، وهي: الليالي: وهي فترة زمنية طويلة تبلغ أربعين يوما وتمتد من 25 دجنبر إلى 2 فبراير من كل سنة، تتميز بشدة البرد، وتتوقف فيها كل النباتات والأشجار عن النمو والتبرعم، وفي ذلك يقول المثل: «حرث الليالي، بحال الأول بحال التالي». ثم السمائم، وهي نقيض الليالي من حيث الطقس، فترة تمتد من 25 يوليوز إلى 2 شتنبر، تعرف بشدة الحرارة ورياح الشرقي اللافحة، وفي هذا المعنى يسير المثل الشعبي «خروج السمايم نقايم وخروج الليالي نعائم». أما العنصرة فهي يوم واحد في السنة، يكون 7 يوليوز¹².

وبالنظر للتباين الجغرافي بين جهات الغرب الإسلامي واختلاف طرق استثمار الأرض في الزمان والمكان، وتوالي الأحداث والوقائع السياسية والعسكرية، قد يكون من المجازفة الحديث عن تقويم زراعي موحد، بحيث نجد جهات يشغل فيها حراثون، وأخرى حصادون وأخرى عاملون على جني الثمار، بينما تخصصت جهات أخرى في منتوجات زراعية وتفردت بها.

¹² - نفسه، ص. 36. المرغيتي، مختصر نظم أبي مفرع، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1298م، ص. 5. إسماعيل التازاني، "هكذا كان القدماء يؤرخون ويقسمون السنة عبر التقويم الفلاحي"، موقع: <http://www.hespress.com/histoire/86574.html>، بتاريخ: 2015/12/08.

ثانيا: أوقات الزراعة والغراسة

شغلت أوقات الزراعة والغراسة بال مدونات الفلاحة واحتلت مكانة مهمة ضمن فصولها، ولذلك يبسط ابن ليون في أرجوزته أوقات الحرث بأنواعه قائلا:

<p>والحرث ثانياً مـارس يُعد ورابعا بيونيه يـكمل كي ما يكون حر الأرض ينهم تُرت أن تُزرع أقوات المصيف عند ازدياع كل ما يُزدرع¹³</p>	<p>« فأول الحرث يَنْبَرُ يَحُد وثالثا بمائه يَعْتَمَل إن كان فيه مطر يَعم وعندما يعها ما الخريف والحرث في كل زمان يوقـع</p>
--	---

يظهر أن كتب الفلاحة اتفقت على الفصول التي ينبغي القيام فيها بالغراسة والزراعة، لكنها اختلفت في تفاصيلها الدقيقة، ولعل هذا الاختلاف لا يتعلق بالتباين الجغرافي بين الجهات أكثر مما هو متعلق بالتباين في التقدير بين هؤلاء المؤلفين. وقد جمع الطغزني في كتابه تجارب كثيرة على النباتات، وأخذ على بعض المؤلفين قلة التجربة، ففي ذكره لأوقات الغراسة يَعْرضُ بِعُرب بن سعيد القرطبي ويتهمه بإطلاق الكلام على عواهنه: «وأما عريب فأكثر ما ذكره في كتابه من أوقات الغراسة والزراعة نقول لم يُجرب، ولا تكلم إلا بهواه، ومن شاء امتحن أقواله بالتجارب، يبدو له الصحيح من السقيم»¹⁴.

وبالرجوع إلى ابن ليون نجد أنه يقدم إشارات تفيد باختلاف المؤلفين المجربين في تحديد أوقات الغراسة، ويشرح ذلك بقوله:

<p>غرس الثمار جميل للغارس سته أشهر لذلك اعتبرا اختاره بعض ذوي الأعمال¹⁵</p>	<p>«قالوا ومن نونبر مـارس أما ابن بصال فمن أكتوبرا وفي الأخيرة من الليالي</p>
--	---

¹³ - ابن ليون التجيبي، إبداء الملاحه وإنهاء الرجاجة في أصول صناعة الفلاحة، مخطوط معهد الدراسات العربية، غرناطة، Escuela de Estudios Árabes, Consejo. reproducción digital de un ejemplar propiedad del Consejo.

¹⁰ - Superior De Investigaciones Científicas CSIC.

¹⁴ - نقلا عن: محمد هشام النعسان، "الطغزني الغرناطي وعلم الفلاحة"، موقع أرض الحضارات

landcivi@landcivi.com ، بتاريخ 2015/10/23.

¹⁵ - ابن ليون، إبداء الملاحه، و 11 مكرر.

وفي تكبيس الثمار، أي إعداد شتائل الأشجار في الحقول التجريبية ونقلها، يأخذ ابن ليون بقول الطغزري باعتبار شهر دجنبر أَوْفَقُ من كل الفصول خصوصا في الأشجار التي يسقط ورقها¹⁶. بينما يرى ابن بصال أن ذلك ممكن في أشهر السنة كلها، إلا أن الأحسن شهر فبراير، مع استثناء تكابيس الجوز التي تتم قبل في يناير وتكابيس التين التي تؤجل للنصف من شهر مارس¹⁷.

أما عن نشر الأشجار، فتظهر المزاجعة بين التقويم الشمسي- والقمر في ضبط الأوقات باختيار الليالي حيث يكون الماء «ذو جمود»، واختير أن يكون ذلك والقمر دخل السرار آخر الشهر. وعن قطع الثمار، يجزم ابن ليون بالاتفاق على موسمي السمائم والليالي «دوفا اختلال» حسب نوعية الفاكهة¹⁸.

وبالرغم من الإشارات الغزيرة التي تفيض بها كتب الفلاحة في ضبط أوقات الغراس، إلا أنها لا تتعرض لبعض الجهات خصوصا تلك الواقعة في جنوب بلاد المغرب، بحكم أن المدونات الفلاحية الموجودة بين أيدينا أندلسية ومتأثرة ببيئتها المحلية. فمن الطبيعي ألا نجد فيه معطيات عن الصحراء والواحات، وهو نقص يمكن تداركه من خلال كتب الجغرافيا؛ وحسبنا أن نذكر هنا أمودج مدينة قابس التي وصفت بأنها «بحرية صحراوية» من بلاد الجريد «وهي كثيرة الثمار والموز بها كثير وليس بإفريقية موز إلا فيها»¹⁹. كما يذكر صاحب الاستبصار مدينة بادس بالزاب، وهي غير بادس المغرب الأقصى، ويشير إلى توفرها على مزارع خصبة «يزرعون فيها الشعير مرتين في السنة»²⁰، لكن دون تحديد لأوقات الزراعة والحصاد، وهي السمة الغالبة على

¹⁶ - نفسه، و. 13 مكرر.

¹⁷ - ابن بصال، كتاب القصد والبيان، نشر ج.م. ميلاس فاليكروزا و م. عزيمان تحت عنوان "كتاب الفلاحة"، تطوان، 1955، الباب السادس، في معرفة كيفية ضروب الغراسات. منشور موقع: www.filaha.org بتاريخ 2015/11/18.

¹⁸ - ابن ليون، إبداء الملاحاة، و. 26. ومعنى حالة السرار التي يدخلها القمر، أنه يأخذ في النقصان ويستسر. واستساراه أن أن يدخل في شعاع الشمس، فيخفى عن الأبصار. فإن كان الشهر تسعة وعشرين يوما استسر ليلة ثمان وعشرين، وإذا كان ثلاثين، استسر ليلة تسع وعشرين. وتسمى الليلة ليلة المحاق، وهي ليلة السرار أيضا. يقال: سرار الشهر، وسراره وسرره بمعنى واحد. قال الشاعر:

تَلَقَى نَوَاهِنَ سرار شهر ** وخير النوء ما لقي السَرا

وكانوا يستحبون المطر في سرار الشهر، ويرجون غزارته إذا وقع فيه. انظر: ابن الأجدابي، الأزمنة والأنواء، ص. 85.

¹⁹ - مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة - آفاق عربية، بغداد، د.ت، ص. 112-113.

²⁰ - نفسه، ص. 175.

المصادر الجغرافية. وفي الآن نفسه تتحدث المصادر عن نخيل وتمور سجلماسة²¹، وكون أهلها يزرعون عاما ويحصدون من تلك الزريعة ثلاثة أعوام بفعل تناثر الجبوب في شقوق الأرض عند الحصاد²². وعن قطن مدينة داي الذي يزرع فيها كثيرا ويسافر به إلى كل الجهات²³. ثم الحديث عن مرج قرقة خارج باب بني مسافر من فاس حيث «تثمر فيه الأشجار مرتين كل عام»²⁴، فيأكل الناس الكمثرى بالمدينة في الصيف والشتاء. وعن حصاد زرع فحص المصاراة خارج باب الشريعة في عدوة القرويين بفاس الذي ينضج بعد شهر ونصف من زرع، ويجزم ابن أبي زرع بصدق مقولته ويعضدها بتفاصيل دقيقة بما صورته: «قد شاهدت الزرع حُرث بالمصاراة المذكورة في خامس عشر من شهر أبريل، وحُصد في آخر مايه، مَنشأه في الطيب والبركة عن خمسة وأربعين يوما، وذلك في سنة تسعين وستمئة، وهو عام الرياح الشرقية، دامت فيه الرياح الشرقية أربعة أشهر، ولم ينزل المطر تلك السنة، ولم تُرو الأرض إلا في الثاني عشر من شهر أبريل المذكور، فحُرث الزرع مخاطرة، فجاء كما ذكرنا»²⁵. مع الانتباه إلى أن ذلك قد يكون مجرد حالة خاصة، ولا يمكن تعميم الحكم واعتبار القاعدة في زرع المصاراة هو ما ذهب إليه ابن أبي زرع هنا.

أما الجهات شبه المدارية، في الأطراف الجنوبية، لبلاد المغرب، فإنها تعرف موسم الأمطار خلال الصيف ما بين يوليوز وأكتوبر²⁶، ومثال ذلك مدينة أودغشت التي قال ياقوت، إنها تقع «جنوبي سجلماسة، بينهما نيف وأربعون مرحلة في رمال ومفاوز على مياه معروفة... وأمطارهم في الصيف يزرعون عليها القمح والدخن والذرة واللوبياء»²⁷.

²¹ - أبو عبيد عبد الله البكري، المسالك والممالك، الجزء الثاني، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ / 2003م، ص. 332-333.

²² - نفسه، ج2، ص. 336. مجهول، الاستبصار، ص. 201. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984م، ص. 306.

²³ - الحميري، الروض المعطار، ص. 231.

²⁴ - علي ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1420هـ / 1999م، ص. 53.

²⁵ - نفسه، الصفحة نفسها.

²⁶ - الثاني ولد الحسين، صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا: من منتصف القرن 2هـ / 8م إلى نهاية القرن 5هـ / 11م، دار المدار، بيروت، الطبعة الأولى، 2007م، ص. 16.

²⁷ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، الجزء الأول، دار صادر، بيروت، 1977م، ص. 278.

إن الحديث عن "الموز"، و"التمر"، و"القطن"، و"زرع خمسة أربعين يوما"، و"أمطار الصيف"، يبيد ثغرات واضحة في مصادرها المعتمدة في التقويم الفلاحي؛ بحيث إنها ضنت بها ولم تدرجها في رزنامتها، وهو ما يجعل الحديث عن تقويم موحد للغرب الإسلامي مسألة فيها جرأة على النصوص ومغامرة غير مأمونة، لكنها لا تعفينا من رصد خطوط التشابه والاختلاف بين مختلف الجهات بالرغم من وجود خصوصيات محلية.

ثالثا: التوزيع السنوي للأنشطة الزراعية

توزعت مختلف الأنشطة الزراعية على مدار السنة، وقد تعددت الحرف الموسمية التي كان يتعاطاها الفلاحون، مع مراعاة وجود بعض الفوارق بين الجهات تبعا للمعطيات الطبيعية ونوعية الإنتاج، غير أن ما يجمع بينها هو الارتباط بأوقات معينة تتساق مع دورة الإنتاج والدينامية التي تخلقها في ارتباط بفصول السنة الفلاحية.

وللاقتراب من أشكال النشاط الفلاحي، تمثل لذلك انطلاقا من المدونات الخاصة بالتقويم والتوقيت والأنواء والجغرافيا، ومن ذلك كتاب "تفصيل الأزمان ومصلح الأبدان" المسمى "تقويم قرطبة" المنسوب لعريب بن سعيد الذي تحدثنا عنه سابقا²⁸، ولعل أهم ما يميزه، رغم الانتقادات التي طالته، الخروج عن طابع التجريد الذي يستند لتقويمات قد لا تمثل واقع الغرب الإسلامي. وبالتالي، فإنه يقدم نموذجا يمثل الخصوصية المحلية لقرطبة وما والاها من الجهات الأندلسية.

وفي السياق ذاته، نجد أن كتاب ابن الأجدابي في علم الأنواء، ورسالة ابن البناء المراكشي في الأنواء، ورسالة التاجوري في الفصول الأربعة، والرسالة مجهولة المؤلف حول منازل القمر. كما يمكن اعتبار مارمول مصدرا معتبرا في هذا الجانب، بعمله على

²⁸ - عريب بن سعيد الأندلسي، تقويم قرطبة، نشر رينهارت دوزي، ليدن، 1861م. وانظر الطبعة الجديدة الصادرة مع اختلاف طفيف في اسم المؤلف: عريب بن سعد، تقويم قرطبة، تحقيق إبراهيم القادري بوتشيش وسعيد بنحمادة، المجموعة المغاربية للدراسات التاريخية والحضارات المقارنة، سلسلة أبحاث ودراسات 35، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 2015.

وقد عرفت أوروبا القديمة والوسطية مجموعة من التقاويم الفلاحية المرتبطة بأشهر السنة. انظر مثلا:

Jean-Christian DUMONT, «Le calendrier agricole de Varron» (R.R. 1, 26-37). In: Vita Latina, N°138, 1995. pp. 7-14. Michel CASEVITZ, «Le vocabulaire agricole dans le calendrier grec», In: Rites et rythmes agraires, Séminaire de recherche sous la direction de Marie-Claire Cauvin, Lyon : Maison de l'Orient et de la Méditerranée Jean Pouilloux, 1991. pp. 109-112.

ضبط أوقات الزراعة والغراسة ببلاد المغرب ويقدم إشارات نادرة تتعلق بالزراعة الزراعية، مع ضرورة الانتباه للتباين المحلي والزمني لهذه المصادر التي تشمل أقاليم جغرافية متعددة وتغطي امتدادا تاريخيا طويلا من القرن 4هـ/10م إلى 10هـ/16م.

تدل هذه المصادر على توزيع جغرافي يكاد يكون متساويا بين أطراف الغرب الإسلامي في التقويم الزراعي، لكنها في الآن نفسه تدل على خضوع أهل جهاته لـ "حتمية جغرافية" لا ترتبط أساسا لما تفرضه الأرض من خدمة وتطوير، ولكن لتقلبات المناخ وما تجود به السماء في الجهات التي تضاءلت فيها عمليات السقي.

جدول رقم 2: الرزنامة السنوية للأنشطة الزراعية ²⁹			
رت	الشهر	النشاط الفلاحي	المصدر
1	يناير (كانون الثاني)	- زبر كروم السهل غربي قرطبة. - تركيب الكروم.	عريب بن سعيد، تقويم قرطبة، تحقيق رينهارت دوزي، طبعة 1883، ليدن، ص. 20.
		- زبر الكروم - غرس الأشجار والكروم	ابن البناء، الأنواء، ص. 126.
2	فبراير (شباط)	- غرس الزعفران وبقول الصيف - تركيب الإجاص والتفاح - نقل الأغراس.	عريب بن سعيد، تقويم قرطبة، ص. 33.
		- تركيب الأشجار: الإجاص خصوصا. - نقل الأشجار على اختلاف أنواعها.	ابن البناء، الأنواء، ص. 133.
3	مارس (آذار)	- تركيب الشجر تركيبا تسميه العامة "الترقيع". - غرس قصب السكر والورد المبكر والسوسن والمقايي (الخيار والفقوس) - زرع القطن والعصفور والبادنجان والرنجان والمرددوش - إنفاذ الكتب إلى العمال بشراء النحل للملوك.	عريب بن سعيد، تقويم قرطبة، ص. 41.
		- يعقد اللوز والتفاح وتجوز الآفات والزروع.	ابن الأجدادي الأنواء والأزمنة، ص. 130.

²⁹ - سبق أن اشتغلت على موضوع التقويم في مقال "الحرف والأنشطة الزراعية في الغرب الإسلامي"، الصادر ضمن العمل الجماعي، الحرف والصنائع بالغرب الإسلامي: مقاربات لأثر المجال والذهنيات على الإنتاج، الجزء الثاني، تنسيق سعيد بنحمادة ومحمد البركة، منشورات الزمن، سلسلة شرفات 77، 2016م، ص. 187-216. وقد تم العمل في ذلك على محاولة توطين هذه الأنشطة على امتداد السنة في مختلف جهات المغرب والأندلس، غير أن ما يميز الجدول الوارد هنا هو الانفتاح على مصادر أخرى، واستثمار المادة المستقاة منه في معرفة أوقات الحرف والغرس والحصاد والقطاف وغيرها.

131.			
ابن البناء، الأنواء، ص. 138.	- فيه يزرع القطن والحبق...		
عريب بن سعيد، تقويم قرطبة، ص. 50-49.	- تذكير النخل وتقليم سعفه. - ضرب أوتاد الأترنج. - غرس قضبان الباسمين. - زرع الحناء والحبق والقنييط والأرز واللويبا البستانية، واللفاح. - نقل القرع الكبير.	أبريل (نيسان)	4
ابن الأجدابي الأنواء والأزمنة، ص. 136,134.	- بدء الحصاد الشعير في العراق - الانتهاء من حصاد الشعير في البلاد الحارة.		
ابن البناء، الأنواء، ص. 142.	- تذكير النخل وتقليم سعفه.		
مارمول، إفريقية، ج 1، ص. 30.	- تزهز الأشجار وتكاد الفواكه تكون ناضجة بجهات فاس وتلمسان وتونس وبعض أماكن مراكش. - ينضج حب الملوك في آخر الشهر.		
عريب بن سعيد، تقويم قرطبة، ص. 58.	- في 5 ماي ابتداء الحصاد في السواحل وما شابهها كمالقة وقرطبة وشدونة وتدمير. - في 25 ماي ابتداء حصاد الشعير في قنفائية قرطبة وغيرها على الأعم. - إعداد رقوق الأخشاف والغزلان - جمع الأعشاب الطبية.	ماي (أيار)	5
ابن الأجدابي الأنواء والأزمنة، ص. 136-137.	- حصاد الحنطة في عموم الجهات.		
مارمول، إفريقية، ص. 44-30.	- يقطف باكور التين في منتصف الشهر بجهات فاس وتلمسان وتونس وبعض الأماكن من جهة مراكش. - الشروع في حصاد القمح في بلاد الجريد قبل الجهات الشمالية من بلاد المغرب.		
ابن البناء، الأنواء، ص.	- زراعة الذرة والأرز...		
عريب بن سعيد، تقويم قرطبة، ص. 67.	- في 20 يونيو ابتداء حصاد القمح في أكثر المواضع بالأندلس. - نقل الزروع وخرصها في الأندر استعدادا لأداء العصور. - جني باكور العنب وتين السواحل. - البدء في جني البطيخ. - زرع الكرنب. - جمع الأعشاب الطبية. - خروج الكتب بجمع قرون الأيل.	يونيو (حزيران)	6

		<p>- بدء نضج العنب في جهات فاس وتلمسان وتونس وبعض المناطق جهة مراكش.</p> <p>- رجوع الرحل عن مواضع نجعتهم إلى مياههم.</p>		<p>مارمول، إفريقيا، ج1، ص. 30.</p> <p>ابن الأجدابي الأنواء والأزمنة، ص. 139.</p>
7	يوليو (تموز)	<p>- استمرار الحصاد القمح الأعم.</p> <p>- درس الزرع.</p> <p>- خرس العنب في كرومه استعدادا لجنيه.</p> <p>- تزييب التين في السهل.</p> <p>- جمع الأعشاب الطبية.</p>		<p>عريب بن سعيد، تقويم قرطبة، ص. 75.</p> <p>ابن الأجدابي الأنواء والأزمنة، ص. 141-143.</p>
		<p>- جني بكور النخل: يؤكل الرطب بالعراق، ويبلغ النخل بالحجاز، ويصرم بعمان.</p>		<p>مارمول، إفريقيا، ج1، ص. 30.</p>
		<p>- نضج الإجاص والتفاح والخوخ والمشمش وسائر الفواكه التي تأتي في نفس الفصل في جهات فاس وتلمسان وتونس وبعض الأماكن جهة مراكش.</p>		<p>عريب بن سعيد، تقويم قرطبة، ص. 84.</p>
8	غشت (آب)	<p>- جمع باكور التمر.</p> <p>- جمع الخوخ الأملس والكمثرى السكري والدلاع.</p> <p>- جمع الأعشاب والعقاقير الطبية.</p> <p>- زراعة الفول في البساتين والخيري السماوي واللفت والجزر والسلق.</p> <p>- إنفاذ الكتب في جمع الحرير والصباغ السماوي للطراز.</p>		<p>ابن الأجدابي الأنواء والأزمنة، ص. 143-144.</p>
		<p>- ظهور ثمرة النخيل وكبرها.</p> <p>- كثرة الألبان بعد عزل الأولاد عن أمهاتها.</p>		<p>مجهول، معرفة منازل القمر، قسم المخطوطات العربية، دير الإسكوريال، رقم 924، و. 21.</p>
		<p>- جني الرطب.</p> <p>- ظهور بواكير الرمان والخوخ.</p> <p>- يعقد البلوط.</p>		<p>ابن البناء، الأنواء، ص. 153.</p>
		<p>- فيه يبدأ الرطب.</p> <p>- زرع الفول الخريفي في البساتين، واللفت والجزر والسلق.</p> <p>- حرث أصول الزيتون.</p>		<p>مارمول، إفريقيا، ج1، ص. 30.</p>
9	شتنبر (أيلول)	<p>- بدء الحرث في جبال قرطبة.</p> <p>- جني الخوخ والحناء والرمان والسفرجل والبلوط والقسطل والجوز والصنوبر.</p>		<p>عريب بن سعيد، تقويم قرطبة، ص. 92.</p>

الفلاحة في تاريخ المغرب

		<p>- سقط الزيتون وعصر الزيت الجديد.</p> <p>- بدء قصب السكر والموز.</p> <p>- جمع عشبة الفوة.</p>	
ابن الأجدابي الأنواء والأزمنة، ص. 146-147.	<p>- يجد النخل بالحجاز وبكل غور.</p> <p>- يقطع العسل</p> <p>طلوع منزلة الصرفة، وفي ذلك تقول العرب: إذا طلعت الصرفة، احتال كل ذي حرفة... " بمعنى أن الشتاء قد أقبل، فكل ذي حرفة يضطرب ويحتال فيما يعده للشتاء. وكانت العرب تقول: "من غلا دماغه في الصيف غلت قدره في الشتاء".</p>		
ابن البناء، الأنواء، ص. 156.	- غرس التين واللوز.		
عريب بن سعيد، تقويم قرطبة، ص. 100-101.	<p>- بدء الحرث في ترجيلة وفحص قرطبة وفحص البلوط.</p> <p>- تكثيف سقط الزيتون.</p> <p>- زرع البصل من أكتوبر إلى آخر يناير.</p>	أكتوبر (تشرين الأول)	10
ابن الأجدابي الأنواء والأزمنة، ص. 122.	<p>- قطع الخشب.</p> <p>- صرام النخل أي وقت نضج التمور وقطعها.</p>		
مارمول، إفريقيا، ج 1، ص. 44، 31.	<p>- الشروع في الزرع بالمناطق الجبلية من بلاد المغرب.</p> <p>- جني التمور في بلاد الجريد.</p>		
المريغيتي، الممتع، ص. 40.	- إبان الحرث.		
عريب بن سعيد، تقويم قرطبة، ص. 109.	<p>- قلب الزريعة.</p> <p>- جمع البلوط والقسطل وحب الآس، ونوار الزعفران والقصب، وبقول الشتاء كالكرنب واللفت والجزر والكراث والفجل.</p> <p>- تغطية الخضر والأترنج والموز والياسمين لنلا يضر بها الجليد.</p>	نونبر (تشرين الثاني)	11
ابن الأجدابي، الأنواء والأزمنة، ص. 123.	- اشتغال أهل الماشية بتتبع مصالحها مع اشتداد البرد.		
مارمول، إفريقيا، ج 1، ص. 30.	<p>- جني الزيتون في جهات فاس وتلمسان وتونس وبعض الأماكن جهة مراكش.</p> <p>- يشرع الفلاحون في زرع الأراضي في سهول بلاد المغرب.</p>		
عريب بن سعيد، تقويم قرطبة، ص. 118.	<p>- ادخار ماء المطر في الأجباب.</p> <p>- غرس القرع الكبير والبادنجان في البساتين والكراث والخشخاش الأبيض.</p>	دجنبر (كانون الأول)	12

يجب التنبيه إلى أن صاحبي "الأزمنة والأنواء" و"معرفة منازل القمر" اعتمدا التقويم المشرقي السرياني سواء في انطلاق السنة ونهايتها أو في تسمية الشهور، بحيث يعتبر أول السنة هو تشرين الأول (أكتوبر) ونهايتها هو أيلول (سبتمبر)، وهما بذلك ينساقان للتعريف بأهم الأنشطة الزراعية في البلاد المشرقية، ولا نكاد نجد للغرب الإسلامي حضورا.

وكما رأينا سابقا في "الفصول الأربعة"، يظهر أن التقويم المبني على المناطق الباردة كالشام وبلاد العجم والروم، يؤكد ارتباط كُتَاب بلاد المغرب كالأجدابي والتاجوري بالتقويم المشرقي وبالتراكم التراثي من مؤلفات قديمة ذات خلفية يونانية وسريانية، وإن كان التاجوري قد اجتهد في مسألة القبلة في فاس وغيرها من جهات المغرب والأندلس³⁰. ويتضح أن "تقويم قرطبة" مرتبط بالدورة النباتية وبالأعمال الموسمية التي تغطي حيزا مهما من الموسم الفلاحي في تراتب دقيق بحيث يتمكن الأجراء من ضمان فرص العمل على امتداد السنة الفلاحية.

وما يمكن استخلاصه من الجدول أعلاه هو تزايد حجم الأنشطة الزراعية وكثافتها فيما بين مارس وأكتوبر وتراجعها فيما بين نونبر وفبراير، وذلك راجع أساسا إلى أن "الأشهر النشيطة" الربيعية والصيفية والخريفية هي التي تتميز بوفرة الغلة والمحصول وتعرف أنشطة التركيب والغرس والزرع والنقل والجمع والجني والحصاد والدرس والشروع في سقط الزيتون بينما تتداخل بقية الشهور الشتوية مع الفصول الأخرى للإعداد والتهيئ من أجل إنجاح الموسم الزراعي بالزبر والغرس والنقل والتركيب والحرث والقلب وتغطية الخضر انقاءا للجلد، وتوفير المياه في آبار معدة لذلك.

³⁰ - التاجوري، الفصول الأربعة، و.15-18، ونسجل هنا أن بعض الدراسات المعاصرة سبق واجتهدت في وضع تقويمات زراعية. انظر خصوصا في هذا الباب: محمد الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية، 1987-1988م، (مرفوعة)، ص. 101-106. عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي في القرن السادس / الثاني عشر، رسالة دكتوراه، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1975م، ص. 458. حسن حافظي علوي، سجل ماسية وإقليمها، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1418هـ / 1997م، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، ص. 296.

ولا تتم هذه العمليات دفعة واحدة وإنما حسب طبيعة الخضر- والمقايي الصيفية والشتوية وحسب توزيع جغرافي خاضع لطبيعة الأرض والمناخ، فعمليات الزبر مثلا تبدأ في كروم السهل الواقع غربي قرطبة، ويتم تركيب الكروم في السهل والجبال إلى آخر الشهر³¹.

وإذا كانت الأمثال الأندلسية التي وصلت إلينا اليوم تمثل في أغلبها واقع أهل المدن، فإننا لا نعدم ما يشير إلى أوقات الزراعة والغرس والحصاد والقطاف: «لس كُن يكون، ذا الغرس قبل مرس»³². وهناك مثل آخر يلح على ضرورة بذل الجهد في الأشهر التي تسبق عمليات الحصاد لضمان محصول جيد: «رقد مرس وأبريل، وجا في وقت حصاد الشعير»³³. إن هذا المثل يتطابق مع الرزنامة الزراعية ومع هو وارد عند عريب وابن الأجدابي من كون وقت حصاد الشعير ينطلق عموما في ماي باستثناء البلاد الحارة التي ينتهي فيها في التاسع والعشرين من أبريل³⁴.

وبالانتقال إلى بلاد المغرب، يستفاد من مارمول أن فواكه جهات فاس وتلمسان وتونس وبعض مناطق مراكش، على خلاف الأندلس، تبدأ في النضج منذ شهر أبريل بل إن حب الملوك يكون جاهزا للقطف أواخر الشهر بينما يتأخر جني الإجاص والتفاح والخوخ والمشمش وسائر الفواكه التي تأتي في الفصل نفسه إلى غاية يوليو. في حين تتفق بلاد الجريد مع سواحل الأندلس الجنوبية وما شابهها كمالقة وقرطبة وشدونة وتدمير بالشروع في حصاد القمح منذ شهر ماي على خلاف باقي جهات المغربية والأندلسية التي يتأخر الحصاد بها إلى غاية يونيو ويوليو.

وفي يونيو كذلك يتم الشروع في جني العنب بجهات فاس وتلمسان وتونس ومراكش كشأن سواحل الأندلس الجنوبية حيث يجنى باكور العنب والتين. وما يثير

³¹ - عريب، تقويم قرطبة، ص. 20.

³² - الزجاجي، أبو عبد الله أحمد بن أحمد بن يحيى القرطبي، ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام (أمثال العوام في الأندلس)، تحقيق ودراسة، محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس، الجزء الثاني، 1391 هـ/ 1971 م، ص. 269. وهذا المثل يشابه ما هو رائج على ألسن المغاربة: «فاذك الغرس قبل مارس»، بمعنى ضرورة القيام بالأعمال في الأوقات المحددة لها وإلا صار العمل دون جدوى إذا أنجز في غير أوانه.

³³ - الزجاجي، أمثال العوام، ج2، ص. 225.

³⁴ - انظر، عريب، تقويم قرطبة، ص. 58. ابن الأجدابي، الأزمنة والأنواء، ص. 136-137.

الاستغراب هنا هو أن مارمول أخر نضج التين في بلاد المغرب إلى شهر غشت وهذا مخالف لما هو شائع بحيث يظهر بواكيره الأولى شهر يونيو بالتزامن مع تين الأندلس.

وتتفق المصادر المعتمدة في هذه المساهمة على كون موسم الحرث يبدأ في شهر شتنبر (جبال قرطبة) ثم تعم العملية مختلف الجهات الأندلسية خلال أكتوبر. أما بلاد المغرب فإنها تتأخر تواليا بشهر تقريبا حسبما أورده مارمول بحيث يبدأ الزرع بالمناطق الجبلية في أكتوبر قبل أن يشرع فلاحو السهول في الزرع شهر نونبر.

أما سقط الزيتون، فيبدأ منذ شتنبر بقرطبة وأحوازها ويتكثف في أكتوبر، ويؤخره مارمول في جهات فاس وتلمسان وتونس ومراكش إلى غاية نونبر.

رابعا: البعد الزمني في العقود والسجلات

كما رأينا سابقا، اعتمدت عقود كراء الجنان والبساتين التقويم الشمسي: «مدة كذا أولها الشهر العجمي الفلاني»³⁵. وهناك أمودج آخر لعقد كراء أرض سقي «اكتري فلان من فلان جميع الأرض السقي (...) من وقت كذا لعام شمسي- من الشهر العجمي الفلاني بمنافعها ومرافقها وكافة»³⁶، على أن يدفع المكثري المقابل نقدا «في إبان الحصاد كل عام»³⁷.

تحفل كتب الوثائق بضبط التواريخ التي يترتب عليها تمام العقود والأحكام المتعلقة بكراء الأرض والمزارعة والمغارسة والمساقاة. ويتضح، مع ابن عروضون، أن عقد المزارعة يبتدئ فعلا بـ «حراثة شتوة عام تاريخه في الأرض البيضاء البعل»³⁸. ويورد

³⁵ - أحمد بن الحسن ابن عروضون، كتاب اللائق لمعلم الوثائق، تصحيح محمد بن قاسم القادري، مطبعة العربي بن محمد الأزرق، ط.ح، فاس، د.ت، ص. 170.

³⁶ - نفسه، الصفحة نفسها.

³⁷ - علي بن يحيى الجزيري، المقصد المحمود في تلخيص العقود، الجزء الثاني، تحقيق فايز السلمي، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1422هـ، ج1، ص. 292.

³⁸ - ابن عروضون، كتاب اللائق، ص. 181-182.

ابن العطار وثيقة انعقدت في أرض معمورة بحيث: «يقوم المزارع فلان بجميع العمل والمؤنة في الزراعة وغيرها إلى تمام الرفع وتهذيب الإصابة»³⁹.

وقد أتى تأكيد العقود على احترام الوقت من أجل تفادي ما تردد في كتب النوازل من عدم الالتزام بالآجال المضروبة بحيث عجز بعض الخماسين عن حرث المساحة المتفق عليها، مما جعل رب الأرض يتدخل لإعانتته على إكمال ما اتفق عليه⁴⁰. كما أن مرض الخماس أو سفره في إبان الحرث دفع المزارع للبحث عن خماس آخر على وجه السرعة⁴¹. وإذا غاب أحد الشريكين، في أوان البذر، وزرع الحاضر منهما فالأمر يحتمل وجهان: «فإن قدم صاحبه في إبان الزريعة، دفع إليه حصته من البذر ونصف قيمة العمل (...) وإن فات الإبان، لم يكن له في الزرع حق، وله كراء عمله في القلب»⁴².

وبالقدر الذي اهتمت فيه عقود المغارسة بتحديد أنواع الخدمة التي يكلف بها العامل من سقي وتقليم وزبر وحفر للسواقي وجري الماء وسد الزرب والحراسة⁴³، بالقدر ذاته الذي اهتمت بالتوطين الزمني للثمار «الصيفية والخريفية»⁴⁴ التي يشترك فيها المتعاقدان. على أن المغارسة لا تقتصر على الدورة السنوية كما هو الشأن بالنسبة للمزروعات، وإنما تهتم بالأصول منذ غرسها إلى أن تشب وتطعم، وهو ما يتطلب أربع أو خمس سنوات أو أكثر⁴⁵.

ومن جهة أخرى قد تتعرض الأرض المكترة لجائحة مما يدعو المتعاقدين إلى البحث في شروط التحلل من العقود، فيتم الركون إلى الرزنامة الزراعية والآجال المخصصة لذلك، وفي ذلك يقول الجزيري: «وينفسخ الكراء باستغدار الأرض بالماء أو

³⁹ - محمد بن أحمد ابن العطار، كتاب الوثائق والسجلات، تحقيق شالميتا وكورنطي، مجمع الموثقين المغربي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1983، ص. 58.

⁴⁰ - أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، الجزء الثامن، تحقيق محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ-1981م، ص. 141.

⁴¹ - نفسه، ج8، ص. 144.

⁴² - الجزيري، المقصد المحمود، ج1، ص. 357-358.

⁴³ - ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص. 73. عبد السلام بن محمد الهواري، شرح وثائق محمد بن أحمد ابن حمدون بناني، ط. ح، مطبعة العربي الأزرق، ربيع الأول، 1324هـ ص. 265.

⁴⁴ - الهواري، شرح وثائق، ص. 265.

⁴⁵ - الجزيري، المقصد المحمود، ج2، ص. 369.

بالقحط مع خروج الإبان، فإن نضب الماء عنها أو أمطرت في بقية من الإبان لزم الكراء المكتري زرعها أو تركها»⁴⁶.

يستفاد مما سبق أن محاولة الحديث عن تقويم زراعي أو وضع خطاطة سنوية تغطي الغرب الإسلامي عموماً مسألة فيها مجازفة بالنظر لندرة المادة المصدرية وللتباين الجغرافي الصارخ في بعض الأحيان بين الجهات مما يجعل الإقدام على خطوة من هذا القبيل مغامرة غير مأمونة.

وتبين أن التقويمين الهجري والشمسي قد تساكنا فيما بينهما واعتمدت السنة الفلاحية على أبراج الشمس ومنازل القمر في ضبط الرزنامة السنوية في انسجام مع علمي التوقيت والأنواء اللذين لم يظلا رهنا للحسابات المعقدة التي قعد لها الفقهاء والعلماء، فكانت الممارسة اليومية كفيلة بنشر المعرفة اللازمة لضبط مواقيت الزرع والغرس والحصاد وغيرها من الأنشطة الزراعية، ولتبيين حقوق والتزامات الأطراف.

⁴⁶ - نفسه، ج 1، ص. 296.